أنشودة ديلمون

يظل القدماء كالتماثيل الحجرية في أذهاننا إلى أن نقرأ شيئاً مما قالوه أو كتبوه.. عندئذٍ تسري الحياة في تلك التماثيل فتتورد شفاهها وتلمع أعينها ونشعر وكأنها تقف أمامنا وهي تبوح لنا بمكنوناتها وعاطفتها وفكرها..

كنت قد رأيت بعض ما نقشه الدلمونيون على أختامهم الشهيرة، فشعرت أنني أتعاطف مع أولئك الناس خاصة وأنهم شاركونا هذا الخليج الجميل.. ولكني عندما قرأت بعض الأبيات مما قالوه شعرت أنني أعرف أولئك الناس، وأحبهم.. وعندما ترى أن ما قالوه قصيدة عشقٍ لوطنهم، فأنت لا تستطيع إلا أن تكنَّ لهم المزيد من المودة والاحترام وتزداد اقتراباً منهم..

عندما لمعت أعينهم إذ سرت الحياة في عروق الحجر أعلن الدلمونيون عشقهم:

”أرض دلمون مقدسة، أرض دلمون طهور
في دلمون لا ينعق الغراب، ولا يَقتل الأسد..
لا أحد يقول عيناي مريضتان، رأسي يؤلمني
لا أحد يقول أنا شيخٌ هرم، أو أنا امرأة عجوز
دع الشمس تأتي لدلمون بالماء العذب من الأرض
دع دلمون تشرب الماء الوفير
دع ينابيعها تصبح ينابيع مياه عذبة
دع حقولها تجود بحبوبها
دع مدنها تصبح ميناءً لكل العالم”

وأيّ ميناء! أولئك أهل ديلمون، أهل الخليج القدماء، والذين لم يشغلوا البحرين فقط كما يظن كثيرٌ من الناس بل تمتد أراضيهم من المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية إلى أطراف الكويت الساحلية خاصة في جزيرة فيلكا، وبعض أجزاء قطر، مروراً بالبحرين التي كان بها مرتكزهم كما يبدو.. أما تلك الأبيات التي قالوها فقد وُجدت على لوحةٍ طينية في بلاد الرافدين كما تقول اللافتة في متحف البحرين، فإن لم يكونوا من قالها، فقد قيلت فيهم، ولن يزيدنا ذلك إلا دهشةً من سر تقديس السومريين لهذه البقعة وإيمانهم بأنها أرض الخلود..

دلمون خليفة